



سعى باراك أوباما خلال ولايته أولاً إلى أن يستذكره الأميركيون إيجابياً عندما يغادر البيت الأبيض، إذ حاول ونجح عموماً في لجم الأزمة الاقتصادية التي ورثها حتى قبل انتخابه عام 2008، كما أنه رتب الانسحاب من العراق ثم من أفغانستان ولم يذهب إلى أي حرب ولم يرسل جنوداً أميركيين إلى القتال في الخارج. ظل الإرث الداخلي أولويته لكن الجدل حوله غير محسوم لمصلحته، أما إرثه الخارجي فيبدو سلبياً جداً.

لم تكن انهزاميته أمام إسرائيل وزمرة المتطرفين في حكومتهاأسوء إخفاقاته، بل إن تقاعسه في سوريا تسبب بأفدو الكوارث في المنطقة، ورغم اعتقاده أن الاتفاق النووي مع إيران توقيع لـ «عقيدته» وسياساته الخارجية إلا أن مفاعيل «ما قبل» هذا الاتفاق كانتأسوأ من أي «قنبلة نووية» أرادت إيران افتقادها، ولن يكون أوباما في منصبه ليشهد أي نتائج «إيجابية» لـ «ما بعد» هذا الاتفاق على المستويين الإقليمي والدولي.

هذا النمط من السياسة الخارجية لدولة كبرى تصرّ على أن تكون في الصدارة، من دون أن تكون لديها إرادة أو مبادرات فاعلة، هو ما أدى إلى شيع الظواهر الوحشية، سواء كانت على شكل مجموعات إرهابية مثل تنظيم «الدولة الإسلامية»/«داعش» أو على شكل الغارات الروسية الكثيفة التي تستهدف المدنيين تنفيذاً لرغبة نظام سوري يريد التخلص من شعبه.

لم تستطع تدخلات فلاديمير بوتن أن تُظهر وجهاً آخر مختلفاً عن التدخلات الأميركيّة، أو أن تبرهن أيّاً من حججه ضد الولايات المتحدة، أو حتى أن تقترح نموذجاً أفضل للنظام الدولي. تكفي الإشارة هنا إلى أن معاناة الشعب السوري جعلت بوتن وأوباما متساوين، بل متوافقين في نهاية المطاف، فالروسي يتدخل للمشاركة في قتل هذا الشعب والأميركي يتركه فريسة سهلة للقتل. ثم إن الروسي يقترب «الفيدرالية» والأميركي يطرح «ال التقسيم». والاثنان يقولان إن السوريين هم من يقررون مصيرهم.

ما النتيجة الطبيعية لسياسات أوباما المترددة والمليتبسة؟ أن يخلفه رئيس مثل دونالد ترامب معيّناً بأفكار خرقاء للتعامل مع نتائج سياسات سلفه الذي يفاخر بسلبيتها. أليس هذا ما يفهم من الاعتبارات المنسوبة إليه في تقرير مجلة «أتلانтик» عن «عقيدته» التي بات ممكناً تلخيصها، بلا مبالغة، بأنها: أبق في الواجهة ولا تفعل ما يلزم أو أ فعل ما ترى فيه مصلحة واعطِ انطباعاً بالوفاء للقيم والأخلاقيات حتى لو لم يكن صحيحاً..

واللافت أن أوباما افتخر مجدداً بتصفيه الترسانة الكيماوية لنظام دمشق، خطوة أكثر فاعلية من ضربه ومعاقبته، رغم علمه بأن هذا النظام واصل استخدام السلاح الكيماوي ضد شعبه.

عندما يلوم أوباما قادة بريطانيا وفرنسا وإيطاليا على انسحابهم وتقاعسهم غداة سقوط نظام معمر القذافي في ليبيا، ما أدى إلى خرابها الحالي، فإنه يتحدث عملياً عن الأدوار الموزعة استراتيجية بين الدول الغربية.

قد يبدو محقاً في هذه النقطة تحديداً، إلا أن أميركا لم تكن منسوبة من ليبيا كما يوحى، بل إن غموض أهدافها وخياراتها أحبط خطط الأوروبيين وسواهم في محاولاتهم للتدخل أو لمساعدة الليبيين. وحتى عندما تعزم واشنطن الآن محاربة «الحال الداعشية» فإنها لا تبدو على الموجة نفسها مع الشركاء المعنيين، ربما لأن المشكلة تكمن في صلب ما يسمى «عقيدة أوباما».

العرب القطرية

المصادر: